تفسيرها في الاعداد السابقة. فامتثلنا دعاءه بطيب الخاطر ودققنا في المقابلة تدقيقاً شافياً. غير اننا لم نرَ حاجة الى تغيير قراءاتنا الا في الكتابة السابعة حيث رسمنا العلم الثالث على هذه الصورة: 𒀭𒀭𒀭 وقد استصعبنا شرحهُ. فمن المحتمل ان تكون القراءة الصحيحة 𒀭𒀭𒀭 وهو علم منحوت معروف مركب من 𒀭𒀭 و 𒀭𒀭𒀭 على ما ارتأت العلماء. ولجنابهِ في رسالتهِ المذكورة ملاحظات أُخر مفيدة تُظهر جلياً سديد انتقادهِ وشديد تضلّعهُ من علم العاديات الشرقية قاطبةً

والظاهر مما تقدَّم ان اشهار كتاباتنا التدريجية وقع كاشهار الكتابات العربيَّة موقع القبول والرضى عند ذوي الخبرة بالآثار القديمة. وهذا كما لا يخفى من اقوى اسباب تنشيط غيرتنا واحثّ الدواعي لمشتركينا الكرام على اعتبار عاديات بلادنا العزيزة واذاعتها في صحف هذه المجلة (١ (ستأتي البقيَّة)

السفر العَجَب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريتر اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل الحادي عشر — في النجاة

وكان الصغير يزيد ويشتدّ فاقبل اندرسون على ملاحظة الكرونومتر والتحديق في

العمومية الواسعة اللازمة لكل كاتب لحل المشاكل التي تعترض عادةً في اثناء الابحاث العلمية. وان اردتُ برهاناً على كلامنا هذا راجع ما كتبهُ حضرة الاب Germer-Durand في المجلة الكتابيَّة *Revue biblique : 1900, p. 91-5* وتأمل

١) ولا مندوحة لنا في هذا المقام من الاعراب عن اسفنا على تصرُّف بعض الشرقيين الذين لا يحسبون في العاديات الا قيمتها النقدية ولا يرون في امر اشهارها سوى فرصة لكسب الارباح الطائلة. وقد اخذ منا الضحك مأخذهُ في هذه الايام الاخيرة لمَّا اتانا بعض اعيان صيداء يحملون الينا سطرًا او سطرين من كتابات فينيقية اكتشفها رجل من سكان تلك المدينة او جوارها وهم يلتمسون منَّا تكوُّنت قراءتها والجواب عن صحتها واهميتها وكان الرجل قد متهم من اخذ رسمها الطبعي الكامل خوفًا من ان تنقص قيمتها. فاي جواب يُرجى منَّا او من غيرنا ما دام معظم مضمون الكتابات مكمونًا في بعض زوايا مسكن الرجل. واي فائدة للعلم من مثل هذا الاخفاء الجدير باستقباح كلّ وطني. فان كانت كتابتك صحيحة او كانت الآثار التي بين يديك من غير الآثار المصنوعة في معامل الزور وهي كثيرة في هذه البلاد فاي خوف عليك من تسليمك اياها الى من يقدّرونها حقَّها ويجلبون لك صيت الكرم فضلًا عن شكران الجميع. فالاصول اذًا من قراءتنا الافاضل الّا يحذوا هذا المثال المعيب ولا يضنُّوا علينا بما عندهم من آثار السلف

ابرتهِ ثم خطر لهُ ان ذاكَ الصوت هو صوت باخرة متضايقة ضلّت طريقها كما جرى للسفينة كاثلند قبلها ففتح باب الكوخ واسرع راكضاً الى الشاطئ يتبعهُ كلٌّ من هاريس وفاضل فابصروا سفينةً صغيرة تتلاعب بها الامواج فخفقت قلوبهم فرحاً واستبشروا بالنجاة ثم وقفوا على أعلى صخر هناك رافعين ايديهم وصرخوا كلهم بصوت واحد صرخة عظيمة على امل ان يسمعهم من في السفينة ويهتدوا الى مكانهم فيسعوا في خلاصهم. ولكنَّ صوتهم مع شدَّتهِ لم يبلغ السفينة ولذلك جدَّدوا الصراخ مرَّةً ثانية باشدَّ من قبل فما كادوا يفرغون منهُ حتى سُمع من السفينة صوت صفير شديد ثم انها دارت على نفسها وسارت في العباب فظنَّ الثلاثة انها لم تسمع صراخهم فقنطوا ويئسوا ولكنهم ما لبثوا ان انتعشوا لمَّا رأوها قد رجعت مقبلةً نحو الخليج

غير انهم خافوا عليها اذا دخلت الخليج ان تلتطم بما هناك من الصخور المائية التي اغرقت سفينتهم كاثلند فاسرعوا الى رأس الخليج واخذوا يشيرون لها بانواع مختلفة الى الخطر الذي ينتظرها فيما لو دخلت فلعلهم ربَّانها الاشارة ووقف بها بعيداً وانزل في الحال قاربًا مع اثنين من النوتية اللذين سارا به الى الشاطئ

فتقدم اليهِ فاضل اول الجميع وحالما وقع نظرهُ على النوتي صرخ قائلاً: « پروسبر اولري » فقال النوتي: « پيترس لاضف ». فقال فاضل: ادعني منذ الآن باسمي الحقيقي فاضل. ثمَّ قصَّ عليهِ بالاختصار ما جرى لهُ من الحوادث من يوم خروجهِ من قرية الوادي في لبنان حتى غرق السفينة كاثلند وندمهُ على افعالهِ الماضية وتوبتهُ واخيرًا قال لهُ: « اننا تركناك في مضايق شياوكوت ميتاً فكيف عدت الى الحياة حتى تتسبَّب الآن بنجاتنا »

قال پروسبر اولري: « انَّ للعناية الالهية اسرارًا فوق ادراك البشر فانها سخَّرت لي مرسلاً كان قد ضلَّ الطريق قديمًا شاهد جسمي بين الثلج ورأى انَّ فيهِ بقيَّة حياةٍ بذل كلَّ ما في امكانهِ من الوسائل حتى عاد اليَّ رشدي ثمَّ حملني على مزلقتهِ واخذني معهُ الى مستشفى مدينة جونو حيث تعلَّمتُ ان اكرم وأجل وأحبَّ تلك الراهبات اللواتي اعتنين بعدواتي فان الفاظهنَّ الحلوة قد اثَّرت في فؤادي تأثيرًا نافعًا خيريًا حتى انهُ لمَّا شفي جسمي شفيت ايضاً في الوقت عينهِ نفسي. وما عشت لا انسى اصلاً ما اختبرتهُ من حنوهنَّ ورأفتهنَّ فبارشادهنَّ صرتُ كاثوليكيًا وصار الايمان في قلبي حيًّا غير مائت

« واما بقية امري فمما يسهل عليك معرفتهُ فقد ركبت هذه الباخرة لأعود عليها الى اميركة فهبَّت علينا في اثناء الطريق عاصفة شديدة ازاغتنا عن طريقنا واوصلتنا تجاه هذه الجزيرة وحينئذٍ شاهدتُ عامًا ابيض يخفق في رأسها فأسرعت الى الربان وسألتهُ بالحاح ان ينوث من قادهم سوء البخت الى هذا الشاطئ المقفر فتردَّد في اول الامر خوفًا من شرّ يحلّ بسفينته غير انهُ اجاب اخيرًا شدَّة إلحاحي وما لبثنا ان سمعنا صوتكم فسرنا نحو المضيق وشاهدناكم انتم الثلاثة تركضون على الرمل وواحدًا منكم يكثر من الاشارات بيده الى مياه البحر محذرًا ايانا من الدنوّ ففهمنا اشارتهُ ووقفنا وتزلت انا في هذا القارب وجئت بهِ اليك لكي انقذك مع رفيقيك انت الذي ادعوك فاضلًا باسمك الحقيقي

امَّا فاضل فاطرق برأسهِ الى الارض خجلًا

فقال بروسبر اولري: « انني قد نسيتُ الماضي كلَّهُ وطويتُ دونهُ كشحًا ولا أريد الَّا ان اهتمّ بنجاتك وخلاصك مع رفيقيك »

ثم إنَّ بروسبر اولري ذهب مع الثلاثة المذكورين الى الكوخ الذي كانوا قد اتخذوهُ مسكنًا لهم فلمَّا وصلوا اليهِ قالوا لهُ: « ههنا كنا نعيش وههنا كنَّا نبكي وننتدب سوء حظنا . وهذه هي اسرَّتنا وهذه هي مدخنتنا وهذه هي الحطام الباقية من سفينتنا كلها لقد . امَّا الصورة التي تراها في الجدار بين اكليل من الحشرة فهي التركة التي خلَّفها لنا فتى اسمهُ اولريك كان خير صاحب لنا . وهي صورة البتول القديسة التي كنَّا نبتهل اليها في الليلة الماضية طالبين منها النجاة »

قال اولري: « هي البتول التي من مراحمها نلت سوابغ النعم . حقًّا اننا جميعًا مدينون بنجاتنا لرأفتها وحنوّها »

وبعد ان جلس الكلّ في الكوخ هنيهة يتحدَّثون عن محامد اولريك واوصافهِ الحسنة قاموا فزاروا الحفرة التي دُفن فيها فروَّوها بدموعهم السخينة ثم حملوا الصورة التي خلَّفها لهم وسائر الحطام والادوات التي خلَّصوها من سفينتهم كلها وركبوا مع بروسبر اولري في القارب ذاهبين بهِ الى السفينة حيث قابلهم كلٌّ من فيها بما لا مزيد عليهِ من الفرح والمسرة . ولم تلبث السفينة ان واصلت سيرها الى اميركة

وكان فاضل في مدة السفر ملازمًا لبروسبر اولري فاحبَّ ان يحدّثهُ مرَّةً عن امر نسيب قصدهُ عن ذلك قائلًا:

« دَعْ هذا الشقيَّ ورشأنهُ . فانَّ عدل الله قد نفذ فيهِ ويا ليتهُ ندم قبل وفاتهِ على ما فعل »

قال فاضل : حقًّا أنهُ هو الذي كان اصل آثامي . ولكني قد اسأتُ اذ حاولت قتلهُ . كما اني اسأتُ اليك حين عرَّضت بك الى خطر الموت في مضيق شيلوكوت

حينئذٍ التفت بروسبر اوري الى فاضل الذي كان ناكس الرأس واسكهُ بيدهِ قائلًا : « انَّ الله يغفر لك كما اني انا غفرت لمن اختلس اموالي . واعلم اني كنت قبلًا ابغض كل البغض ذاك الذي استبدَّ بالثروة التي كان مرجعها اليَّ ولو اني عرفتهُ انهُ هو هو ذاك المسافر ذو البرنيطة الطويلة لكنت طعنتهُ بخنجري واذقتهُ الموت عمدًا . ولكن العناية الالهية حفظتني من ارتكاب هذه الجريمة فلتكن مباركةً . واليوم بحمد الله اصبحت عواطفي الحاضرة مناقضةً على خطّ الاستقامة لعواطفي الماضية بعد ان هداني الله الى سبيل الحقّ في مستشفى مدينة جونو حيث كان الموت يساورني فاتعظت واعتبرتُ وظهرتْ لي جميع خيور الدنيا دنيةً وحقيرة

« فاليت الانسان يحسن الافتكار بعواقبهِ الاخيرة بدلًا من الاهتمام بالربح والعمل . جيوبهِ من الذهب الذي لا يفيدهُ لمعادهِ شيئًا

« نعم انهُ قد يتعل الى تحصيل الثروة والعيش والشرف ولكن ماذا ينفعهُ الغنى والعظمة اذا كان قد قصَّر عن نيل الغاية الوحيدة الضروريَّة التي هي خلاص النفس وهي وحدها تحيا الحياة الابدية »

« هذه هي الافكار التي كانت تجول في خاطري عند ما تجلَّى لي نور الهداية . ولما دخلتُ في طور التقه اخذت الراهبة التي كانت تُعنى بعداواتي تحدثني عن عظمة محبة الله للبشر حتى انهُ تنازل فاتخذ جسمًا مثلنا ولقد تأمَّلتُ في صليبهِ وتلك الصلاة التي رفعها لابيهِ السماوي من اجل معذّبيهِ سائلًا اياهُ ان يغفر لهم لانهم لا يدرون ماذا يعملون فحينئذٍ قلتُ في نفسي اللهمَّ برحمتك اغفر لنسيب

« والآن انا اسألهُ ايضًا ان يغفر لك فقط اطلب منك ان تأسف على جريمتك نادمًا وتسالك سبيل النشاط في الخطَّة الجديدة التي انتهجتها

« واعلم اني انا الواقف امامك قد اجترمتُ كثيرًا من الذنوب ولكن الله رحمني وعاملني بفضل منهُ جزيل فانا اشكرهُ الان شكرًا جزيلًا لانهُ لم يسمح لك بتأدية شهادتك على مسمع من القضاة خوفًا من ان تُعاقب عقابًا شديدًا لرقة شذرات

الذهب في المناجم ولو نطقتَ بشيء لما عدتُ الى الاسكا ولما ضربني نسيب ولما زرت مستشفى مدينة جونو حيث كانت تنتظرني عناية المولى لتنتشلني من وهدة ذنوبي. وبناء عليه ارجوك من الآن فصاعدًا ان ننسى الماضي نسيانًا مطلقًا ونتعاهد على ان لا نأتي بذكر مناجم كاليفورنية ولا بشيء من امر تلك الرسالة المختومة بالدم »

الفصل الثاني عشر

سان فرنسيسكو وقربة الوادي

وبعد مسيرة عشرة ايام انتهت السفينة الى سان فرنسيسكو فشكر اندرسون وهاريس وفاضل للربان شكرًا جزيلًا على ما اولاهم من المنة والمعروف ثم نزلوا الى المدينة فأقاموا فيها واقبل كل من اندرسون وهاريس يتعلمان حقائق الديانة الكاثوليكية على يد رفيقيهما حتى اذا تمكنا فيها جحدا ذات يوم مذهبهما البروتستاني وكلَّ اضاليله ففرح فاضل وپروسپر اولري فرحًا عظيمًا بتمام هدايتهما

واقام پروسپر اولري في ذاك اليوم وليمة لرفقائه المذكورين اكثروا فيها من تذكُّر اولريك وحسن سيرته ناسبين كل ما جرى الى صلواته وغيرته وقائلين انهُ بتقديم حياته ضحيةً ربح ثلاثة أنفس. فقال اولري مبتسمًا: « بل انهُ ربح اربعة اذ لا بُدَّ من ان تحصوني في جملتكم »

وفي ختام الوليمة نهض اولري المذكور فقال: « ارى من اللازم ان أُطلعكم على مقصدي فانهُ ربَّما كان هذا الاجتماع آخر اجتماعاتنا »

فبهت الكلّ من كلامه ونظروا اليه متعجبين فقال: « لا تتعجَّبوا فان اندرسون لا بد لهُ ان يعود الى مهنته في البحر وسيلحق به هاريس وحان لفاضل ان يرجع الى وطنه في لبنان

« امَّا انا فاني مسافر الى ارض بعيدة لان الله لمَّا كان قد احسن اليَّ بنعمة الهداية في الاسكا وجب ان اقابل المحبة بالمحبة واقوم بشيء يفيد نفوس المعدنين الكثيرين الذين يذهبون الى تلك الاواضي الجليدية. وعليه عزمت ان اذهب الى هناك واكون كرسل لتلك النفوس ولهذا اودعكم واستودعكم الله. وفي الوقت نفسه اسألكم ان تحفظوا تذكار النعمة التي منَّ بها الباري وتقيموا على الاتحاد في الحياة والممات مهما كانت الابعاد الفاصلة بيننا فلنصلِّ اذًا من اجل بعضنا واذا لم يتيسَّر لنا الالتقاء في

الحياة نأمل ان يجمعنا الله في السماء مع اولادك

« وانت يا فاضل تصبّر وتجلد على ما يجي معذا لك من المحن للتكفير عن ذنوبك واني اعدك وعدًا صادقًا باني سأذكرك في ادعيتي وابتهالاتي »

وبعد هذه الكلمات انفصل الاربعة وبعد مضي مدة قليلة تقيد اندرسون وهاريس في خدمة احدى السفن وركب فاضل باخرة اوصلتهُ بعد شهر الى مرفإ بيروت فلمَّا طلع على الرصيف شاهد فتـاةً لابسةً ثيابًا سوداء علامة على الحداد. ولمَّا كان مشتاقًا للاستخبار عن والدتهِ خاطب تلك الفتاة قائلًا اتعرفين قرية الوادي. فاجابت وكيف لا اعرفها وانا منها وقد فقدت فيها والدتي

— وماذا كان اسم والدتك ؟

— اسمها مريم

فحينئذٍ صرخ فاضل متأوهًا وقال انت روزا شقيقتي وانا فاضل اخوك

— فتباعدت عنهُ روزا قائلة: هل انت مجنون ؟

— كلاَّ ما انا مجنون بل انا اخوك فاضل بعينهِ. انا الذي سافرت من الوادي الى امركة . اتتذكرين السهرات التي كنَّا نقضيهـا في بيتنا مع يوسف وجبرائيل وانطون ورزق الله فرمت حينئذٍ روزا بنفسها على عنق اخيها تقبّلهُ صارخةً :

« يا اخي فاضل . يا لفرحي بلقياك بعد ان كنت اظنُّك ميتًا . هلمَّ الآن هلمَّ الى بيتي . فاني من بعد وفاة والدتي تركت الوادي واقمت في هذه المدينة

قال فاضل : اخبريني عن وفاة أمي

— هلمَّ الان نركب هذه العربة وحينئذٍ اخبرك بكلّ ما جرى

فبعد ان ركبا قالت روزا : ان والدتنا بعد سفرك من الوادي كانت افكارها دائمًا مشتغلةً بك ففي ذات مساء وكانت قد انقطعت اخبارك وردتها رسالة مختومة تتضمَّن خبر وفاتك

— وفاتي ؟

نعم وقد جاء في الرسالة انك القيت بنفسك في ميناء نيويورك تخلُّصًا من محن الحياة

— اكملي حديثكِ وساشرح لك كيف كان ذلك

— فعندما انتهى اليها خبر وفاتك وقعت والدتنا مغشيًّا عليها . فاخذنا في معالجتها بما

امكن من الوسائل حتى عادت الى نفسها الّا انّ الحزن كان قد أصمى فؤادها وظهر على وجهها انها ستموت قريباً. وكانت تردّد هذه الكلمات: « ولدي فاضل . ولدي فاضل . كيف تموت موت الاشقياء . »

— نعم اني شقيت يا اختي وسأقصّ عليكِ ما يحملكِ على الاستحياء باخيكِ هذا الذي ترينهُ امّا الان فتممي كلامكِ

— وبعد خمسة عشر يوماً قضتها في الآلام والاوجاع لفظت روحها ودُفنت بالقرب من الكنيسة . فاذا شئت ان تشاهد قبرها فما لك الّا ان تذهب الى الوادي وهناك تذرف الدموع فوق رفاتها

وكانت العربة قد وصلت وقتئذٍ الى ساحة البرج فنزلت روزا وتبعها فاضل وجعلت تذهب به من زقاقٍ الى آخر حتى وصلت الى غرفة حقيرة كانت تسكنها . فلمّا خلا الاخوان بكيا بكاء مرًّا

الختام

وبعد بضعة ايّام ذهب الاثنان الى الوادي ونزلا في بيتها وكان فاضل يتردّد كلّ يوم الى قبر والدتهِ يبكيها ويندبها

ولمّا جاء فصل الشتاء اخذ فاضل يقصّ مدّة السهرات الطويلة كلّ ما جرى لهُ من مبتداهُ الى منتهاهُ ويحذر الحاضرين من ان يستزلّهم الطيش فيتركوا بلادهم لاقلّ سبب . وكان يقول لهم انهُ من المحتمل ان لا يصيبكم ما اصابني ولكني اؤكّد لكم انكم لا ترجعون الى قريتكم مثلما خرجتم منها . فانتم هنا اتقياء وانقياء الضمير فاذا ما تركتم المنى واطمعكم حبّ المال خسرتم كلّ ما خصكم بهِ الله تعالى من هذه المنح . نعم انكم لن تلاقوا هناك رجلاً كئيب ولكنكم بلا ريب ستلاقون الكتب الردية والجرائد السيئة والعشراء الاشرار فتسري العدوى الى اخلاقكم مهما كانت جيدة وحسنة وتلتزمون بتسادي الزمان ان تخسروا ايمانكم وعقيدتكم

أليس خلاص النفس افضل من اكتساب كل ما في الارض من خير وغنًى . اه لو كنتم تعرفون كيف يتّصل الى الارباح اولئك الذين يذهبون الى اميركة وكيف يحصلون ما يحملونهُ بالخداع والغش والتزوير . نعم ان البعض يرجعون غانمين قسماً من الثروة ولكنهم لو حاسبوا ضمائرهم لوجب عليهم ان يردّوا كل ما عندهم من الدراهم لانهم ما ربحوها الّا بطرق الغشّ والاحتيال

وبما ان الله تعالى قد سمح بتوارد الحوادث الغريبة عليّ ومنّ عليّ اخيراً بحفظ الحياة باعجوبة منهُ تحتم ان اصرف ما بقي لي من العمر في تحذير قومي من السفر الى اميركة والتكرير على مسامعهم انّ محبة الدراهم هي فخ ينصبهُ الشيطان للبشر ليهلكهم نفساً وجسماً وقانا الله من ترهاته وارشدنا الى البرّ والقناعة امين اللهمّ آمين

(تمّت)